في ندوة بالجامعة ناقشت الإنعكاسات الأخلاقية للعلاج الجيني

د. الخليفي: الإسلام حث على التأمل واستخدام العقل

□ الدوحة – منال عباس

فتح سعادة الدكتور عبد الله بن صالح الخليفي مدير جامعة قطر صباح أمس ندوة «الانعكاسات الأخلاقية للعلاج الجيني» التي تنظمها كلية العلوم بالتعاون مع منظمة اليونسكو بمشاركة عدة دول.. وقال سعادة الدكتور عبد الله الخليفي في كلمته له رحب فيها بالمشاركين: إن جامعة قطر تهتم منذ نشأتها وبتوجيه من حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير البلاد المفدى، الرئيس الأعلى للجامعة.. وولي العهد الأمين بتشجيع البحث العلمي وتطويره ودعم البحوث المتميزة مالياً ومعنوياً. مشيراً إلى سعي الجامعة الدائم لتبادل الخبرة بين علماء العالم بصفة عامة وعلماء العالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة.. بالإضافة إلى اهتمامها بالتعاون مع المنظمات العالمية والإقليمية. حيث تمثل هذه الندوة استمراراً لنظرة التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية اللتين توليان اهتمامهما بنشر الوعي العلمي ودعم العمل الإسلامي المشترك بالعلم التضامن الإسلامي.

وأكد سعادة مدير الجامعة خلال كلمته على تقدم العلم بخطواته المتسارعة والمتسارعة في شتى المجالات التي تهدف إلى خدمة البشرية.. حيث أدى هذا التقدم إلى ظهور ثورات علمية متلاحقة من بينها انشطار الذرة.. والاتصالات والالكترونيات حيث يعيش العالم الآن ثورة جديدة قد تفوق في أهميتها وهي ثورة العلوم البيولوجية التي تتضمن في لبها ثورة جينية وجينية فتحت المجال لما يعرف بالهندسة الوراثية. والتي من خلالها أصبح بالإمكان استنساخ كائن حي من خلية جسدية.. وأضاف أن كل هذه الاكتشافات العلمية لها مردود هام على الإنسان وسيعود عليه بالنفع.. وكأي جديد يكون له وجهان، أحدهما إيجابي يفيد البشرية بنتائجه ويزيد من رفاهيته وتقدمه إذا أحسن استغلاله.. والوجه الآخر الذي يعتريه من إحداث آثار ضارة على حياة الإنسان.

وقال سعادة الدكتور عبد الله الخليفي إن اجتماع اليوم لمناقشة أحد الموضوعات الهامة التي انبثقت كنتيجة للتقدم المذهل في العلوم الوراثية وهو العلاج الجيني.. والذي سيستفاد منه لعلاج العديد من الأمراض الوراثية.. وأشار سعادته إلى البعد الأخلاقي لهذا العلم الذي يمثل أحد الجوانب الهامة التي تحرص عليها الجامعة خاصة ما يتمشى مع الدين الإسلامي، مؤكداً أن الإسلام حث على التأمل واستخدام العقل في كل أمور الحياة.

وأضاف: إنه على ثقة في هذه النخبة من العلماء المسلمين والعرب وما سيتوصلون إليه من مجموعة توصيات يمكن اتباعها في هذا المجال الحيوي والعمل على اقتراح إطار من الأخلاقيات لحماية مصالح المجتمع الإسلامي.

كما تحدث الدكتور عبد الله حسين الكبيسي نيابة عن كلية العلوم – جامعة قطر وباسم اللجنة التنظيمية للندوة.. عن التطورات المتعلقة بعلم الوراثة والتي شهدت خلال السنوات العشر الماضية تغييراً مذهلاً خاصة فيما يتعلق بتنمية وتطوير التقنيات المستخدمة في علوم الوراثة الجينية والتي تتناول بالبحث الدقيق التعرف على كيفية عمل المورثات والتي تتحكم في صفات الكائن وآخرها المشروع الخاص بالخريطة الوراثية للإنسان التي تم الإعلان عنها خلال العام الماضي.

وقال دكتور الكبيسي أنه على الرغم من هذا التطور في المجال التقني الحيوي والتطبيقات القيمة لها إلا أنه صاحب ذلك بعضاً من الممارسات العلمية التي أثارت جدلاً حول الانعكاسات الأخلاقية والدينية والاجتماعية لطبيعة هذا النوع من العلوم ومدى تعارضه مع الفكر الإسلامي والثقافي والحضاري.

وأضاف إن مناقشة هذا الموضوع للرقي بأساسيات ومفاهيم وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والفهم الصحيح لها والتحديات التي قد تواجه الجميع من خلالها مما يتطلب العمل على رفع درجات الوعي لهذا الموضوع لدى المثقفين والعامة من خلال التعليم والمناظرات العامة وتسخير وسائل الإعلام لهذا الغرض لأن ذلك سيوفر الدليل المرشد للتطور العلمي والعلماء والقائمين على وضع الأهداف لما يتطلبه من بناء للقدرات الذاتية من تدريب وتعليم في مجال أخلاقيات العلوم الحيوية.

وقال الأستاذ الدكتور محمود حافظ عبد الرحمن في كلمة منظمة اليسيسكو: يشرفني أن أتقدم بالشكر لحكومة دولة قطر لرعايتها الكريمة لهذه الندوة استمراراً للدور الكبير الذي تقوم به دولة قطر وجامعتها الناهضة لترسيخ الفكر والثقافة والمعرفة الحقة لخدمة الإسلام والمسلمين.. مشيداً بمستوى التعاون الرفيع بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية العلوم بجامعة قطر، موضحاً أن العالم الإسلامي يقف على عتبة الألفية الثالثة ليتطلع إلى الأمام، تحدوه الإرادة القوية لبلوغ مستوى أرفع من التقدم الذي يتناسب مع إمكاناته وموارده الطبيعية والبشرية ولكن تعوقه مشكلات متعددة في شتى الميادين خاصة في الميدان الاقتصادي والعلمي على مستوى التطور المتوازن في الحياة العامة.

وقال إن العالم يمر حالياً بمرحلة مهمة في تاريخه، فعصر الصناعة قد بلغ أوجه، ودخلت البشرية في عهد جديد من التقدم التقني يتميز بتطورات وتحولات تقنية لا سابق لها.. وبينما نخطو العولمة خطاها الحثيثة نحو التقريب بين الدول وتحويل العالم إلى قرية كونية، فإن الفجوة التقنية بين البلدان النامية والبلدان المتقدمة تزداد اتساعاً. ولقد أثر النظام العالمي في زيادة هذا التباين، وغدت الدول النامية تنوء تحت عبء المشكلات التي تواجهها، كما ساهم تطور تقانة الإعلام في حدوث تحولات جذرية تولدت عنها أنماط من السلوك واتجاهات وأنشطة اقتصادية جديدة، وهذه التحولات جميعها تنبىء بأن الواقع العلمي والتقني سيكون في العقود المقبلة مختلفاً عما يشهده اليوم.

وأضاف لقد شهد القرن العشرون طفرة كبيرة في مجالات الطب المختلفة، وتطورت بمعدل سريع التقانات الحيوية والهندسة الوراثية خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، وأصبحت لها تأثيرات أخلاقية ونفسية واجتماعية مباشرة على الإنسان في حياته اليومية مما شكل تحدياً للعلماء المسلمين والذين يملكون ناصية التقدم التكنولوجي في هذا المجال. إلا أن الحاجة أصبحت واضحة وملحة لوضع ضوابط لممارسة وتطبيق هذه التقنيات من وجهة النظر الإسلامية، وكان الهدف من وضع هذه الضوابط أن تستفيد الأسرة المسلمة من التقدم العلمي والتقني المحقق في هذا المجال في ظل مبادىء الشريعة الإسلامية السمحة والتي تشكل كيان الإنسان المسلم الأخلاقي والمعنوي والفكري والثقافي والحضاري على وجه العموم، وأشار هنا إلى أن المجلس الاستشاري لتنفيذ استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا بالبلدان الإسلامية والذي تشكل بقرار من المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي الذي عقد العام الماضي (٢٠٠٠م) في الرياض أوصى في اجتماعه الأول الذي عقد بمدينة فاس بالمملكة المغربية يومي ٢٤ و٢٥ سبتمبر الماضي، بإنشاء لجنة للأخلاقيات الإسلامية تتكون من ممثل عن كل دولة عضو لتدرس بعناية فائقة التقانات الحديثة المختلفة من وجهة نظر أخلاقية وشرعية إسلامية لضمان احترام المبادىء الإسلامية المثلى، وتقديم الخطوط العريضة اللازمة للعلماء والباحثين المسلمين.

وقال الأستاذ عبد الله علي العبد الله الأمين العام المساعد للجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم: كنا منذ أيام قلائل نفتتح حلقة دراسية متخصصة حول هياكل التبادل بين دول العالم الإسلامي في مجال الإعلام والاتصال أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع اللجنة الوطنية القطرية. واليوم تشارك اللجنة من جديد مع المنظمة الإسلامية وبالتعاون مع جامعة قطر في هذه الندوة المتخصصة، مما يؤكد دور المنظمة وحيويتها في التعامل مع أحدث القضايا المطروحة على الساحة العالمية من خلال رؤية إسلامية صحيحة ومتزنة، بمشاركة نخبة متميزة من العلماء والخبراء الذين يمكن أن يقدموا خلاصة علمهم وتجاربهم، فتكتمل بذلك جوانب هذه الندوة المهمة من واقع رؤية شاملة لكافة محاورها.

فكل الشكر والتقدير للمنظمة الإسلامية على دورها في هذا المجال، ولمتابعتها لهذا الموضوع وتعاونها فيه مع جامعة قطر منذ ندوة الانعكاسات الأخلاقية لعلوم الوراثة الحديثة التي عقدت في رحاب الجامعة في فبراير من عام ١٩٩٣، ومشاركتها كذلك في تنظيم العديد من الندوات الأخرى في دول العالم الإسلامي حول الرؤية الإسلامية للوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني.

والشكر موصول أيضاً لجامعة قطر على رسالتها الأساسية في أن تكون الجامعة دائماً في خدمة المجتمع من خلال تقديم ما ينفع مجتمعها ووطنها وأمتها، وأن يكون لها دورها الفعال في مناقشة أهم القضايا المطروحة على الساحة العالمية.

وأضاف إن اللجنة الوطنية القطرية – بحكم وضعها كحلقة صلة أساسية بين المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بالتربية والثقافة والعلوم وبين مختلف الجهات التربوية والثقافية والعلمية في دولة قطر يسعدها أن تكون دائماً حلقة وصل ذات فعالية متزايدة، وأن تتعاون في كل ما ينفع ويفيد الوطن والأمة. فبتحقق من خلال دورنا ورسالتنا توطيد المزيد من الصلات بين المنظمات الدولية وبين الجامعة وغيرها من جهات الدولة.

ولاشك أن هذه الندوة ستساهم بجهود المشاركين في وضع مبادىء توجيهية بشأن الجوانب الأخلاقية للبحث في مجال العلاج الجيني من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، وهي نبوة لها أهميتها الكبرى لما يمكن أن تحققه في تبسيط المعلومات العلمية في هذا المجال ونشر الوعي حوله وتأكيد وجهة النظر الإسلامية بشأنه. آملاً في التوصل إلى مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي تتماشى مع مجتمعاتنا الإسلامية في ظل قواعد الدين الإسلامي الحنيف.

تقدم.. متعمق

وكان قد ناقشت الندوة في يومها الأول العديد من الموضوعات الثرة قدم فيها الأستاذ الدكتور عبد العزيز البيومي أستاذ علم الوراثة قسم العلوم البيولوجية جامعة قطر.. الورقة الأولى عن أساسيات الوراثة والعلاج الجيني، والتي ركز فيها على الاستفادة من التقدم المتعمق في علم الوراثة الجزيئية والهندسة الوراثية في كثير من التطبيقات في الكائنات الحية، مشيراً إلى أهم النتائج الحديثة التي أثارت جدلاً كبيراً وهي عملية الاستنساخ التي تتضمن تكوين نسخة من فرد كامل بالغ مستنسخة من خلية جسدية. وقال إن العلاج الجيني يتضمن التعرف على الجين المسبب للمرض الوراثي ثم فصله بصورة نقية ليتم تحويره أو إحلاله بجين سليم وإدخاله في خلية مستقلة عن طريق ناقل أو بصورة مباشرة مستفيداً من إمكانات الهندسة.. كما ألقى الدكتور بيومي الضوء على أساسيات العلاج الجيني في إشارة إلى الأخلاقيات والأمان من استخدام تقنيات العلاج الجيني بالنسبة للإنسان.

طموح إنساني

كما قدم الدكتور خالد عبد الله العلي المشرف على برنامج العلوم الحيوية الطبية بكلية العلوم جامعة قطر.. شرحاً عن الجينوم البشري والعلاج الجيني.. وقال إن الإنسان من أقدم العصور يطمح إلى معرفة نفسه والسعي لفعل ذلك بطرق مختلفة وتناولت ورقة الدكتور خالد التطبيقات العملية لمشروع الجينوم البشري في العلاج الجيني من الجانب الإيجابي كتخليص البشرية من بعض أمراضها الوراثية في مراحلها المبكرة والتوصل إلى أنواع العلاج المختلفة لأمراض مستعصية كالسرطان بالإضافة إلى الخدمات الأخرى في مجال الزراعة والتغذية والصناعة. كما ناقش الجانب السلبي للتطبيقات التي يحلم بها بعض العلماء مثل تغيير طبيعة البشر والخلط بين الأجناس وغيرها من المحاولات التي قد تمس الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر.

علوم حديثة

ومن دولة الكويت تناولت الدكتورة صديقة علي العوضي رئيسة مركز الأمراض الوراثية.. العلاج الجيني والانعكاسات الأخلاقية موضحة أن علم الوراثة من العلوم الحديثة التي بنيت على العديد من الدراسات والقوانين التي وضعها القدماء.. حيث شهد تقدماً في الثمانينيات والتسعينيات وأمكن ابتكار العديد من الأجهزة العلمية والمتقدمة التي أمكن من خلالها الكشف عن مسببات كثير من الأمراض الوراثية في الإنسان.

وتناولت ورقة الدكتورة صديقة علاقة الوراثة بأمراض عديدة في الإنسان سواء من خلال تغيير في أعداد أو تركيب الكروموسومات أو من خلال تغيير في التركيب الكيميائي للجين والطرق المختلفة للتشخيص قبل الولادة للأمراض الوراثية.. كما ناقش البحث الانعكاسات الأخلاقية للعلاج الجيني والتي تشتمل على انعكاسات اجتماعية ونفسية ودينية مع تبين موقف الإسلام والنظرة المستقبلية.. والتعرض إلى الضوابط الخاصة بالعلاج الجيني سواء كانت تقنية أو قانونية.

طرق غير تقليدية

ومن جانبه قال الدكتور محمد الصاوي أستاذ بوحدة الوراثة وقسم الأطفال «طب عين شمس» بجمهورية مصر العربية: إن التقدم المذهل في مجال البيولوجيا الجزيئية قد فتح الأبواب أمام علاج كثير من الأمراض بطرق غير تقليدية ومن أهم هذه الأبواب هو العلاج الجيني.. مشيراً إلى أنه مع إمكانية استنساخ الجينات وتحويرها ثم نقلها للخلايا البشرية المختلفة اكتملت العناصر اللازمة لأداء علاج جيني للأمراض المختلفة في الإنسان حيث يعرف العلاج الجيني بأنه أي محاولة طبية تتضمن التغيير عن قصد في المادة الوراثية للخلايا الحية بغرض منع أو علاج أو تقليل حدة مرض ما.

واحد من ثلاثة آلاف

وتحدث الأستاذ الدكتور أحمد ناصر المصمودي.. رئيس قسم الأعصاب بالمستشفى الجامعي بباب العويد بالجزائر.. عن التجربة الجزائرية في مجال الأمراض العضلية العصبية الوراثية.. موضحاً أن العلماء يقدرون بأن أكثر من شخص واحد بين كل ثلاثة آلاف يصاب بأحد الأمراض الوراثية المتعلقة بالجهاز العصبي.. وعلى الرغم من أن المشاكل الناجمة عن هذه المجموعة من الأمراض كبيرة إلا أنه لم يكن يعرف خلال العقد الماضي إلا القليل من مسببات هذه الأمراض.. وأضاف أن بالجزائر تمثل هذه الأمراض مشكلة لابد من التصدي لها خاصة على ضوء كثرة الإنجاب وزواج الأقارب.. لذلك فقد قام أطباء الأعصاب بإنشاء شبكة وطنية حول ثلاثة مراكز تقوم بعلاج الأمراض العضلية العصبية الأولى في مدينة الجزائر والثانية بمدينة قسطنطين، وأخرى بمدينة وهران، وكل مركز من هذه المراكز يقع في مستشفى جامعي به كل من أقسام الأعصاب والقلب وأمراض الرئة وحديثي الولادة والعلاج الطبيعي وإعادة التأهيل.. وهناك وحدة لدراسة الأنسجة المرضية بمدينة الجزائر وقسطنطين تقوم بدراسة العينات باستخدام تقنية كيميائية.. وكيمياء الأنسجة العضلية المرضية.

□ الخليفي خلال افتتاح الندوة

□ جانب من المشاركين (تصوير: أمير طمبل)

د. الكبيسي: التحديات تتطلب العمل لرفع درجات الوعي